أبي رحمها الله

أ . د ./ سليمان بن حمد العودة

من بعد أصلك ذكرى

ⓒ سليمان بن حمد العودة ، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العودة ، سليمان حمد
امي رحمها الله و من بعد امك تكرم. / سليمان حمد العودة .-
الرياض ، ١٤٣٥هـ
٣٢ ص ؛ ٢١ سم

ردمك: ٣-٠٦٠٣٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

١- بر الوالدين ٢- الامهات ٣- الوعظ و الارشاد أ.العنوان
ديوي ٢١٢,٥ ١٤٣٥/٧٧٥٨

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٧٧٥٨
ردمك: ٣-٠٦٠٣٠-٠١-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا الحديث عن الوالدين ؟

لأن الله أوصى بهما : {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا} [العنكبوت : ٨] .

وأمر بالشكر لهما : {أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} [لقمان : ١٤] .

وخفض الجناح لهما : {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} [الإسراء : ٢٤] .

والدعاء لهما : {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء : ٢٤] .

بل جاء الأمر الرباني بمصاحبتهما بالمعروف وإن كانا مشركين : {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان : ١٥].

وفي المقابل جاء النهي عن نهرهما، بل ومجرد التأفف لهما : {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا} [الإسراء : ٢٣] .

وجاءت السنة النبوية مؤكدةً حقوقهما، داعيةً للبر بهما والإحسان إليهما، فالجهاد فيهما جهاد مقدم، والإذن منهما أمرٌ لازم : جاء رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»[1] متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري (٥٩/٤)، ومسلم (١٩٧٥/٤)

وجاء آخر يقول : جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: «ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا»[١].

والوالدين بشهادة الذي لا ينطق عن الهوى طريق إلى الجنة : «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوْ احْفَظْهُ»[٢] رواه الترمذي والحاكم وصححاه.

ومن أدرك أبويه أو أحدهما ثم لم يدخلاه الجنة فرغم أنفه . كررها المصطفى صلى الله عليه وسلم ثلاثاً[٣].

حري بمن تأمل هذه النصوص . وغيرها كثير . أن يبر بوالديه، ومن البر بهما إسعادهما وخدمتهما في حياتهما، وعدم التقدم عليهما في حديث أو مجلس، وعدم دعائهما بأسمائهما، والتلطف لهما في القول، والتقرب لهما في الخدمة، والدعاء لهما في حياتهما وبعد موتهما، واستمرار البر بهما بعد موتهما ...

وهل تعلم أيها البار أن استغفارك لوالديك بعد موتهما ترفع درجتهما، فقد جاء عن أبي هريرة . رضي الله عنه . : (ترفع للميت بعد موته درجته فيقول : أي رب أي شيء هذه؟ فيقال : ولدك استغفر لك)[٤].

---

(١) رواه أبو داود بسند صحيح : صحيح سنن أبي داود (٢/٤٨٠) .

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢/١٧٥)، والمستدرك (٤/١٥٢) .

(٣) صحيح مسلم ح (٢٥٥١) .

(٤) صحيح الأدب المفرد للبخاري (٤٥) .

وليس يخفى أن العبد لا ينقطع عمله بعد موته ما بقي له ولد صالح يدعو له، ويتصدق عنه، ويستغفر له . كما صح الخبر بذلك . .

إن من الخذلان للعبد أن يقابل جميل الوالدين بالنسيان، يشق عليه أمرهما، ويتطاول أعمارهما ... وهل يعي من يعق والديه أو أحدهما أن ذلك من السبع الموبقات التي أمر المسلم والمسلمة باجتنابها ..؟

وهل يعلم العاق أن دعوة الوالدين توردانه موارد الهلكة، ولو كان العاصي عابداً زاهداً، وفي قصة (جريج) دروس وعبرة ...

حين أتذكر هذه النصوص الشرعية أتمنى أن لو أدركت أبي . كما أدركت أمي . فقد كان موته رحمه الله في سني الأول، حيث لا أعرف شكله، ولم تكتحل عيناي برؤيته، فضلاً أن أتمكن من خدمته وبره في حياته .. وحين يعز عليّ أن أكتب عنه، فعسى ربي يقبل ما أدعو به له ولوالدتي، وعسى الله أن يرفع درجاتهما حيث أستغفر لهما ...

إنها ذكرى ومحفزات للبر بالوالدين أحياءً وأمواتاً عسى أن تجد قلوباً واعية، وآذاناً صاغية، والبر لا يفنى، ومن قدم اليوم وجده غداً ..

وصلى الله على محمد

أ.د. سليمان بن حمد العودة

عصر عاشوراء ١٤٣٤ هـ

البداية ومسقط الرأس :

(خب الحلوة) قرية في أرياف بريدة الغربية، تخلو من مباهج الحياة سوى مجموعة من الصالحين والصالحات، نشأت وعاشت الوالدة بين أبوين صالحين، والدها . جدي . صالح بن محمد العيد . رحمه الله . ، العابد الزاهد، ووالدتها . جدتي . هيلة العلي الحامد (الوسيدي) . رحمها الله . ، والتي شاء الله أن تغادر هذه الحياة وابنتها الكبرى (منيرة) والدتي لا تزال طفلة.

وقد ذكرت الوالدة أنها حزنت على أمها حزناً شديداً، وظلت تبكي عليها حتى انزعج أخوالها من بكائها، فما كان من أحدهم إلا أن هددها بالرمي في بئر قريبة منهم إن لم تسكت، وتقول الوالدة : وكنت حينها أتمنى لو رموني في البئر لألحق بوالدتي ...

كذلك عاشت أمي . رحمها الله . ظروف يتم أمها، وربما كانت لهذه النشأة أثر في حياتها وعصاميتها فيما بعد ...

كان أبوها يكدح طوال النهار لتوفير لقمة العيش لها ولشقيقتها (شايعة) وشقيقهن (عبد الله) حيث كانت تلك ذرية (هيلة الحامد) .

وكان جدها (والد والدها) (محمد العيد رحمه الله) هو الآخر رجلاً صالحاً زاهداً يأكل من كدِّ يده (في صنع الأرشية للسواني)، وكان كفيفاً، لكنها ذكرت من عبادته وزهده وارتباطه بالمسجد ما يغبط عليه، وقد نهج ابنه (صالح) جدي لأمي نهج أبيه، فمنذ عرفته كان زاهداً في الدنيا، مقبلا على الآخرة، أغلب جلوسه في المسجد، وقد حفظ القرآن على كبر ورغم أمِّيّته، وكنت وأنا شاب أتابع له حفظه، وكان حسن الصوت بالقرآن رحمه الله .

الزواج وبساطته، والسفر ومخاطره :

تزوجت أمي والدي . كبنات جنسها . وهي صغيرة في حدود الخامسة عشر أو قبل ذلك، وتذكر من بساطة زواجها وبراءتها أنها لم تكن تعلم ماذا يريد الزوج منها، وكانت . كما تقول . تأكل علكاً فسألها والدي . رحمه الله . لماذا هذا العلك ؟ فأجابت بكل براءة : (الشيوخ ابخص)، وعاشت مع والدي في (البصر) فترة ...

وسار مشوار الزواج ببساطته وعدم تعقيده، وبمفاجآته حتى جاء الله بالمولود الأول (عبد الله) أخي الأكبر ..

ثم أحوجت ظروف الحياة والدي رحمه الله للسفر للرياض حيث فرص العمل هناك أكثر من القصيم، وهنا جاءت الأزمة لوالدتي حيث رفضت فكرة السفر ولسبب محدود .. أتدرون ما هو ؟

خشية الفتنة وتوقٍ لمخاطر السفر، فقد استقر في ذهنها . رحمها الله . أن الرياض كثير الفساد، وربما اعتدى على المرأة رغم أنفها هكذا كانت تتصور .. ومع الإصرار اضطر الوالد للسفر وحده، واضطر كذلك أن يتزوج عليها لعلها تتنازل عن رأيها ...

وبكل حال فلم يستمر الزواج الأخير للوالد، وتنازلت الوالدة عن رأيها فلحقت بالوالد وسافرت معه للرياض، واكتشفت حينها أن الأمر على خلاف تصورها، ومهما كانت هذه الوجهة خاطئةً فهي مؤشر لحشمتها، وعنوان على حراسة الفضيلة لهذا الجيل النبيل، وأين هذا من نساء يفتنَّ الرجال، ويتقصدن الخروج للإفساد والله المستعان ...

الكدح ومشاركة الزواج :

من المهم أن أشير إلى أن الوالدة . رحمها الله . حدثتنا عن ظروف غربة الوالد، ومحاولتها سد غيبته، ولئن تكرَّم أبي . رحمه الله . بوضع شيء من النقود لإعاشتها وأطفالها . حسب ظروف الحال . إلا أن الوالدة كانت تعمل في (السفيف) وهو صنع (المحادر) الزنبيل والفرش، من خوص جريد النخل، وكانت ماهرة في ذلك، وقد وفرت لها هذه الصنعة قوتها وأطفالها، ومن الجميل أن أذكر كما روت أمي أنها كانت توفر المبلغ الذي يتركه والدي عندها، فإذا جاء من السفر واحتاج إلى مبلغ أخرجته له فجأة ليسد به حاجته، ولتشعره بأمانتها ومشاركتها له في ظروف الحياة، وأين هذا من نساء تظل تطلب ثم تطلب من الزوج حتى ترهقه وربما أحوجته إلى سلفة أو دين ؟

ومن الكدح لون آخر :

فقد حدثتنا الوالدة . رحمها الله . أنها في سبيل ترويج بضاعتها (بيع السفر والمحادر) كانت تسير ماشية من (البصر) إلى (بريدة) حاملة معها البضاعة للبيع، وراجعة محملة كذلك بالطعام الذي تشتريه، حيث لا يتوفر حينها وسائل للنقل، وإن توفر شيء منها فيحتاج إلى مبلغ ربما كان على حساب معيشتها وتوفيرها، كتب الله لأمي خطواتها فهي في سبيل العفاف والكفاف

وفاة الوالد ومعاناة الوالدة :

توفي والدي . رحمه الله . في مقتبل عمره عام (١٣٧٦هـ) نتيجة مرض أقعده ثم فارق الدنيا، مخلفاً ثلاثة من الذكور (عبد الله، محمد، سليمان) وواحدة من الإناث (عائشة)، وكنت أصغر هؤلاء جميعاً، ولا أعرف والدي، حيث كان عمري سنة أو تزيد قليلاً، ولم يكن والدي من أصحاب المال، فلم يخلف لورثته شيئاً يذكر، ومن هنا بدأت معاناة الوالدة لإطعام هؤلاء الأطفال الذين كان يكبرهم الأخ عبد الله . وربما لم يبلغ الخامسة عشرة . ، وأحست الوالدة بحاجتها لمضاعفة الجهد بحثاً عن لقمة العيش، وكان لديها من عزة النفس ما ترغب معه ألا يلتفت صبيانها إلى الآخرين، ولو كانوا أعمامهم، وقد كنا . في فترة . جيراناً للعم عبد الرحمن العودة . رحمه الله . وكان وجيهاً مضيافاً لاسيما لأهل الأرياف من خارج بريدة، وكان يبيع في دكان له في (قبة رشيد) ثم في (الجردة) فكانت الوالدة تربينا على عزة النفس، وأتذكر أنني شخصياً كنت يوماً عند العم عبد الرحمن فقدم طعامه ودعاني فاعتذرت . رغم رغبتي في الطعام . كل ذلك تأدباً وتأثراً بتوجيهات الوالدة، فلما أصر علي قلت له : كل أنت، فرد عليَّ قائلاً : أنا شبعان، فرددت عليه : وأنا مثلك شبعان .. فراحت مثلاً (وأنا مثلك) ..

الزواج بابن عمران لماذا ؟ :

رغم أن الوالدة كثر عليها الخطاب . بعد وفاة والدي رحمه الله . فهي لا تزال صغيرة، ولديها قدر من الجمال والعقل يطمع الرجال فيها، حتى ولو كان عندها أطفال، إلا أن الوالدة بحصافتها وتقديرها للأمور اعتذرت عن عدد من الخطاب رغم أهليتهم ووجاهتهم لأنها كانت تفكر في أطفالها، ولا ترغب فيمن يمكن أن يفصلها عنهم، ولذا رغبت في الزواج من (عبد الرحمن العمران) رحمه الله، رغم قلة يده، وتأخره في الزواج .. وكان شرطها الوحيد أن يبقى أولادها إلى جوارها، فقبل الزوج ووفى لها، فكنا في حجره وكأنه والد لنا حتى توفاه الله رحمه الله عام (١٤١٨هـ)، وقد أنجبت منه ثلاثة من الذكور هم (علي، وعبد العزيز، وإبراهيم) هذا فضلاً عمن توفي . ممن سأذكرهم لاحقاً . من حمد العودة، أو عبد الرحمن العمران.

وحيث أن الزوج الآخر (ابن عمران) لم يكن ذا مال أو دخل يكفي، فقد شاركته الوالدة تكاليف الحياة، ومؤنة البيت عبر طرق ووسائل أسجل منها ما يلي :.

١- العلاقة بالشيخ ابن حميد تساهم في حل الأزمة :

ربما ذُكرت الوالدة لبيت الشيخ عبد الله بن حميد . رحمه الله . وأنها امرأة عاملة وصاحبة أطفال، وأمينة .. فبدأت علاقتها ببيت الشيخ توفر لهم بعض احتياجاتهم، وتساعدهم في صنع الطعام لمناسباتهم، وكان بينها وبين نساء الشيخ عامة ووالدة الشيخ صالح الحميد . رحمها الله . خاصة وداً عجيباً، ولم تك تبخل عليها بالطعام أو الدريهمات مقابل عملها، ومراعاة لظروف أطفالها . هنا أحست الوالدة . كما تقول . بالارتياح، ووفرت شيئاً مما يحتاجه بيتها وأطفالها ...

وكان الشيخ عبد الله بن حميد . رحمه الله . يحب الوالدة، ويقدر جهدها، ويثمن أمانتها، ورعايتها لهؤلاء الأيتام، فلا يبخل عليها كذلك، ومن هنا بدأت علاقتنا بهذه الأسرة الكريمة ولم تنقطع، حيث أن أحد أبناء الشيخ ابن حميد . وهو إبراهيم . ابن للوالدة ، وأخ لنا من الرضاع.

لكن ظروف الحياة، وزيادة احتياج الأطفال، أحوجت أمي إلى فتح فرص أخرى تسترزق منها، وتوفر ضرورات الحياة لها ولأطفالها، فكانت

٢- مهنة الخياطة :

وسيلة أخرى لكسب العيش، حيث كانت تخيط الثياب لمحمد السليم . رحمه الله . وكنت وإخواني ننقلها منه إليها، وأتذكر أنني كنت أحمل هذه الثياب على دراجتي .. فهي تخيطها في البيت، ودون أن يكون لها به أدنى اتصال . وكان هو رحمه الله من الزهاد . وكانت الأجرة بسيطة على الثوب، ولكن الثياب أيضاً كانت من البساطة في خياطتها بقدر حاجة البادية الذين تخاط لهم، وبكل حال شكّل هذا العمل مورداً آخر للنفقة وإن كان قليلاً .

٣- الابن الأكبر يشارك :

كان الأخ عبد الله هو أكبر أولاد الوالدة، والأخ عبد الله منذ شعر باليتم وهو يحاول أن يتكسب ويعمل، ورغم أنه لم يواصل دراسته إلا أنه شعر بالمسؤولية مبكراً تجاه والدته وإخوانه، فعمل عند الراشد في بريدة سائقاً، ثم اشترى سيارة (وبمشاركة الخال دخيل العيد) من الراشد . وربما كان حينها في العشرينات من عمره أو أقل ..

ومن هنا بدأ الأخ عبد الله يساند الوالدة، لاسيما بعد ما تزوج . وكانت زوجته نعم المرأة في خدمة الوالدة وخدمتنا نحن . ، وظل الأخ عبد الله بمنزلة الوالد لنا حتى كبر إخوته الأشقاء (محمد وسليمان) .

أما ابنها محمد فكذلك لم تتيسر له مواصلة الدراسة بعد الشهادة الابتدائية، فعمل متسبباً، ثم سائقاً لسيارات النقل الكبرى . وهو عمل أخيه عبد الله . ثم ملك سيارة كبرى، وفي ظل هذه الظروف حصل للأخ محمد الحادثة الغريبة المثيرة عام (١٣٩٧هـ) حين أوشكت سيارته المحملة في البترول (بنزين)، وكذلك المحطة التي يفرغ فيها حمولته ببريدة، أوشكت السيارة والمحطة بالاحتراق لولا لطف الله أولاً، ثم التصرف والموقف الشجاع من صاحب السيارة الأخ محمد حيث قاد السيارة وهي تشتعل ناراً متجهاً بها نحو الشمال، حيث اتجاه الريح، ومازالت النيران تخرج مع خروج (البنزين) حتى انتهت وانقطعت النار في مشهد جماهيري كبير كانوا يتابعون الأخ، وربما ظن بعضهم أنه أصيب في عقله، وهو متماسك ومدرك أن هذا التصرف أنسب حل لإنقاذ سيارته التي تمثل رصيده في تلك الفترة ..

وهنا كان شعور الوالدة . كأم . شعوراً بالألم والسرور، الألم تخوفاً على ابنها وسيارته، والسرور حين علمت بسلامته وسلامة سيارته والمحطة كذلك .

أما الابن الثالث سليمان . كاتب هذه السطور . فقد وفقه الله في دراسته لاسيما وقد حصل في الشهادة الابتدائية على تفوق حيث كان السابع من العشرة الأوائل على منطقة القصيم عام (١٣٨٧هـ) كما في الصورة المرفقة للجريدة ..

واصل في المعهد العلمي، ومنه التحق بالكلية (كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام بالرياض)، وكان في المعهد والكلية من الأوائل، حتى إذا تخرج من الكلية (١٣٩٦هـ) اختير معيداً في الكلية .. وكان صدور قراره للتعيين في الكلية في (١٣٩٧/٨/١٦هـ).

الوالدة شريك في التفوق :

وهنا لا أنكر أن والدتي . رحمها الله . شريكة في هذا التفوق . بعد توفيق ربي . فكانت تسهر معي، وتخدمني، وتشجعني، وربما جلست للمذاكرة بعد الفجر فاشترطتُ وجودها لتسليني فوافقت

أما حين انتقلت للرياض . للعمل كمعيد . فقد رغبت هي والأخ محمد في الانتقال معي للرياض، فانتقلنا وانتقلت الوالدة معنا إلى الرياض، وانتقل معنا إخوتنا الصغار لأمنا (علي، وعبد العزيز، وإبراهيم) حيث مكثوا فترة ثم عادوا للقصيم، وبقيت أنا في الرياض حتى أكملت دراستي العليا، وانتقلت للقصيم عام (١٤٠٦هـ)، وقد سجلت الدكتوراه .. انتقلت وكيلاً لكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم .. ثم كنت عميداً للكلية، والآن أعمل أستاذاً بقسم التاريخ بجامعة القصيم ..

وهنا كانت فرحة الوالدة عظيمة حيث جمع الله الشمل مرة أخرى في القصيم ببريدة، حين انتقلت وأسرتي إليها.

أمي بعد رشد أولادها :

سار قطار الحياة بنا وبوالدتنا، وشاء الله وقدر أن كبر الأولاد السبعة (ستة من الذكور، وواحدة أنثى)، وتزوج أصغرهم إبراهيم، وباتت الأم (منيرة) ترى أثر تربيتها، وتوفيق الله لها ولأولادها، فليس منهم أحد يدخن فضلاً أن يكون فيهم مقصرا بالصلاة، أو مبتلى بشيء من بليات العصر (حفظهم الله وثبتهم حتى الممات)، وهنا يأتي دور البر والرعاية للأم ..

كانت رحمها الله تحب التنقل . بين أولادها . حتى ولو استقرت فترة عند زوجها عبد الرحمن العمران، وزاد ترددها على أولادها وبنتها الوحيدة (عائشة) بعد وفات زوجها العمران.

وكان هذا التردد مريحا لها ولأبنائها، فهي تكفيهم عناء الزيارة لها، وهم ينالون برَّها، ويسعدون بخدمتها في عقر دارهم ..

وكانت هذه الفترة فترة تحصيل وكسب للحسنات، (لوالدتي رحمها الله) وذلك عبر الطرق التالية :.

أ- تفرغت هذه الفترة للعبادة . إذ انتهت مهمة الكدح وطلب العيش، فقد أغنى الله أولادها، بل ربما طلبت منهم صدقات للآخرين . وهي تحب الصدقة . فلم يمنعوها، وهي تحس أكثر بآلام اليتامى لأنها خبرت هذه الحالة وعاشت ظروفها .

ب – وهي كذلك صاحبة صلاة تحرص عليها في وقتها، وتتحرى في طهارة جسمها وملابسها وما تصلي عليه، ولا تقف عند

حدود الفرائض، بل لها سنن ورواتب لا تتخلى عنها . فيما أعلم . كصلاة الضحى، والسنن والرواتب ..

أما قيام الليل فكان دأبها حتى في مراحل كدحها وتعبها، ومن نافلة القول حرصها وحفاظها على (الوتر) .

ومن نافلة القول كذلك حرصها على قيام الليل، ومشاركة المسلمين التهجد في شهر رمضان .

جـ - وهي صاحبة ورد وأذكار مشروعة، واستغفار آناء الليل وأطراف النهار، فهي تدرك فضل الذكر والفرق بين الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله (كالحي والميت)، وكثيراً ما نراها تعقد أناملها وتحرك شفتيها بذكر الله ...

د – أما تلاوة القرآن فهي أميِّة لا تقرأ ولا تكتب، ولكنها حفظت في الصغر قرابة جزأين من القرآن (جزء تبارك، وعمَّ)، وحدثتني أكثر من مرة أنها كانت ترددها في صلاتها . لاسيما في قيام الليل . فلما انشغلت بالأولاد والكدح تفلّت بعض ما حفظت، وظلت تحافظ على ما بقي معها من القرآن حتى تأثرت بالمرض فنسيت أكثره، وربما قرأت السورة الصغيرة من القرآن وخلطت معها غيرها، وذلك في آخر حياتها رحمها الله .

أما سماعها للقرآن من غيرها فكانت حريصة على ذلك وربما قالت لأحدنا ليتك تقرأ علينا من كتاب الله، ولربما رأيت التأثر حيث تغرورق عيناها حين سماع بعض آيات الله الوعد أو الوعيد من القرآن، وصدق الله : {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا

مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ..} [الحشر : ٢١] ..

هـ - الحج والعمرة، ماتت أمي ولا نحصى كم حجت أو اعتمرت، وذلك لسببين : -

الأول : حرصها على الأجر والكسب للآخرة، ولا شك أن الحج والعمرة مكفرات للسيئات . رافعات للدرجات . ، وفي الحديث «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير الحديد ..» . .

الثاني : رغبتها في الأسفار، على خلاف عادة بعض النساء اللاتي يرغبن طول المكث في بيوتهن خاصة عند الكبر .

ورغبتها على الخصوص في السفر مع أبنائها، فهي تراه استثماراً لجهدها، ويراه أولادها رداً لبعض حقها، فكل من حج أو اعتمر بها وهي راغبة في ذلك فرح بصحبتها له، وفرحت هي بصحبته وأولاده، وكان ذلك فضل من الله عليها، وفضل لأولادها حيث بروا بها وخدموها ..

ورغم مشاق السفر، وظروف الزحام في الحج أو العمرة، فهي تظل حريصة على ذلك وإن نالها من المشقة نصيب ..

ومن طريف ما أروي عنها أنها حجَّت معي سنة من السنوات، فلما بدأنا الطواف (وأظنه طواف الوداع) حصل لنا ضيق شديد، فقالت لي : يا سليمان لعلها تكون آخر حجة، فلما قضينا الطواف، وانتهى الزحام، التفتت إليَّ قائلة : يا سليمان لا تأخذ علي ما قلت (تراي هوَنت) ثم رددت المثل (أسلي وأنسى)، وبالفعل فلم تكن هذه

الحجة آخر حجة لها، بل حجت بعدها واعتمرت، معي ومع إخواني . تقبل الله منها ومنا والمسلمين . ..

و - أما الحسبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذا شيء يجري في دمها وعروقها بدءاً بالصلاة والحث عليها لأولادها وأحفادها، ومعارفها، وهي لا ترى منكراً إلا نبهت عليه بلغتها، وبما تملك من أدلة شرعية أو عقلية، وقد وهبها الله هيبة عند الصغير والكبير، والذكر والأنثى، وبالتالي فمن يخطئ من الصغار (يخشى من أمه منيرة) ربما أكثر من أبيه وأمه، وهي لا تستنكف من نصح أو تذكير عالم لعلمه، أو كبير لكبر سنة، بل تُذكر وتختار الأسلوب المناسب للتأثير وحسب ظروف الزمان والمكان .

ز - وهي . رحمها الله . صاحبة صدقة، وتحرص على إخفائها، فقد تطلب من أحد أولادها مبلغاً من المال، وقد لا يكون لها حاجة شخصية به، لكنها . وبشكل سري . تدفعه إلى محتاج سواء كان من أقاربها أو ممن تعلم حاجته وإن لم يكن قريباً .

وربما جمعت القليل على القليل من المال حتى تَوفر لها مبلغٌ كبير، ثم أنفقته جميعاً في سبيل الخير، ومما أذكر لها . وأسأل الله أن يتقبل منها . أنها دفعت إليّ يوماً مبلغاً من المال وقالت : أريد هذا في بناء مسجد لي، وإن كان المبلغ قليلاً (ستون أو أربعون ألفاً)، وتم بحمد الله عمارة المسجد في إحدى الدول، ولما أخبرتها أن هذا المسجد أصبح للجمعة والعيدين، وفيه حلق للقرآن فرحت بذلك فرحاً عظيماً أفرحها الله يوم لقائه.

وفي سياق الصدقات فهي تحرص كل عام على الأضحية لها، وتشرك والديها في أضحيتها، ويعلم من كان عليه أضحية الوالدة أن عليه أن يشتري أضحيتين له واحد ولأمه منيرة أخرى..

المرض ثم الوفاة :

برغم أن الوالدة أقعدت على السرير قرابة ثمان سنين إلا أن شكواها كانت قليلة، ولم تكن مزعجة كحال بعض المرضى من كبار السن الذين يرفعون أصواتهم ويتعبون من إلى جوارهم .

نعم: ابتلى الله الوالدة بمرض أفقدها الكثير من قواها العقلية والجسدية، فقد بات النسيان يسيطر عليها، فهي تعلم ساعتها ثم تنسى بعد قليل ما كنت تحدثها به .. وسرى داء النسيان عندها حتى أثر على ضبطها للصلاة، فقد تكبر وتقرأ الفاتحة ثم تتبعها بقصيدة شعرية من محفوظاتها !! ؟

وقد تنهي الركعة الأولى ثم تتحدث معك في الركعة الثانية، والحمد لله فقد غفر عن الأمة الخطأ والنسيان، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وكنا نقول أن من فضل الله عليها أنها كانت في قوتها حريصة على الصلاة، كثيرة النوافل، والله تعالي بفضله وكرمه يكتب للمرء إذا مرض أو سافر مثل ما كان يعمله حين كان صحيحاً مقيماً ... ونرجو أن يكون الله كتب لوالدتنا في مرضها كما لو كانت سليمة ..

بل إننا نطمع أن يكون هذا المرض لوالدتنا بلّغها درجة في الجنة لم تبلغها بعملها..

وحيث فقدت قواها العقلية فقدت معه أو قبله الكثير من قواها الجسدية، فهي تحمل إلى السرير وتنزل منه كما يحمل الرضيع، وكذلك يرد الإنسان إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً، وأتذكر أنني كنت أقرأ عليها آية الروم : {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}، وكانت تقول لي : الخوف من هذا الضعف الأخير لأن معه شيبة فلا أمل بالقوة بعده ومعه الشيبة ...

استفحل المرض بأمنا حتى خرج في جسمها مجموعة من القروح لكثرة النوم على السرير، كنا نعالجه من مكان فينتقل إلى آخر، ومع ارتفاع السكر وانخفاضة، وغيبوبتها أحياناً كنا نسعفها للمستشفى ثم نعود بها إلى منازلنا ..

حتى إذا كان المرض الأخير اضطررنا إلى إبقائها في المستشفى قرابة شهرين، حتى أخذتنا العاطفة وقدمنا لها بممرضة تقوم بدور المستشفى وتبقى في بيوتنا .. حتى إذا استخرجنا التأشيرة وأوشكنا على نقلها من المستشفى لمنزل الأخ الأكبر عبد الله كان أمر الله أعجل، وقضاؤه أسرع ..

وفي اليوم السابع من شهر رمضان لعام (١٤٣٣هـ) اتصل بي الأخ إبراهيم قبيل الظهر، وقال إن المستشفى اتصلوا به ويقولون إن ظروف الوالدة صعبة فما رأيك؟

فأحسست بشيء ما، وكنت أول من وصل من إخواني، فلما استأذنت رجل الأمن للصعود إلى غرفتها .. وانتهيت إلى المكتب المتابع لحالتها قابلني طبيب وهو شاب سعودي، فلما عرفني وعرف قرابتي من (أمي منيرة) قال لي في البداية الوالدة حالتها صعبة، ولكن حاولنا فيها .. ثم قاطعته لا بأس صارحني كيف حال والدتي الآن ؟ . وأنا أرغب زيارتها . قال لي وهو يحس بتماسكي .. الله يحسن عزاءك الوالدة قبل قليل خرجت روحها إلى بارئها .. فألهمني الله قوله : (إنا لله وإنا إليه راجعون الحمد لله على كل حال غفر الله لها) ... وذهبت بالفعل إلى غرفتها لألقي عليها قبلة الوداع ولأتأكد من موتها .. وحينها اتصلت بالإخوة والأخت فحضروا جميعاً، وحضرت بعض نسائنا .. اللاتي كن يخدمنها (جزاهن الله خيراً)، وكان الدرس بليغاً، والمشهد عظيماً، وبدأ حبل الذكريات عن تاريخ أمنا منيرة .. وآلامها وآمالها، ثم نهايتها .. والجميع يردد .. غفر الله لها وأسكنها فسيح جناته ...

ثم كان الاتصال بالشيخ صالح الونيان إمام جامع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (الخيلج) ببريدة لتجهيزها والصلاة عليها، واتفقنا على الصلاة عليها بعد صلاة التراويح من ذلك اليوم، وبعث الشيخ لنا مشكورا رجلين متخصصين في إنهاء إجراءات الموتى، ومن ثم إيصالها إلى مغسلة الأموات بجامع الخليج ..

شاركت بعض نسائنا . مع المغسلة . في تغسيلها وتكفينها .. فلما انتهوا دخلنا لتقبيلها مرة أخرى وتوديعها وداعاً أخيراً قبل أن يغطى رأسها ..

حتى إذا حان وقت العشاء أتينا للمسجد وصلينا العشاء ثم التراويح، واستمعنا إلى كتاب الله يتلى بصوت ندي من القارئ (عبد الرحمن أبا الخيل) .

فلما حضرت الصلاة على الوالدة . وكان معها امرأة أخرى . قدمني الشيخ صالح الونيان للصلاة عليها، فلم أتردد واعتبرت ذلك حقاً لها علىّ، ونوعاً من البر بها، وقدّرت للشيخ مبادرته .. وصليت عليها، ثم حملناها إلى المقبرة على أكتافنا ..

وهناك في القبر نزلت أنا والأخ عبد الله في القبر، وبمعاونة من الحاضرين وضعناها وألحدناها وواريناها عليها التراب، ويعلم الله ما في أنفسنا عليها، لكن عزاءنا أننا كنا نرجو لها الخير، وندرك أن ما عند الله خير لها مما عندنا، وحيث اتسعت رحمة ربي لكل شيء فلن تضيق بامرأة عانت في حياتها، ورعت يتامى، ثم تقربت إلى ربها بما استطاعت، ثم حلّ بها مرض عساه أن يكون رفعةً لدرجتها، وتكفيراً لسيئاتها .. غفر الله لأمي (منيرة) وأبي حمد قبلها، وأسكنهما فسح الجنان ..

ما بعد الموت :

وحتى لا ينقطع العمل والبر قال عليه الصلاة والسلام : (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ..) الحديث .

لم تنته ذاكرة أمنا منيرة من مخيلتنا حتى وإن دفناها وودعناها إلى الأبد في هذه الحياة، ومحاولة لإيجاد صدقة جارية لها، وعملاً بحديث المصطفى . صلى الله عليه وسلم . في الصدقة الجارية ..

فقد التقينا بعد موتها وتشاورنا في عمل نبرها به بعد موتها، واتفقنا على عمارة مسجد لها، ونتيح الفرصة لأبنائها وأحفادها للمشاركة، وقد استحسن الجميع الفكرة، وكل ساهم بما استطاع، حتى جمعنا مبلغاً طيباً كفى لعمارة مسجد في إحدى دول العالم الإسلامي ذات الكثافة السكانية العالية (إندونيسيا) .

وحيث زاد المبلغ قليلاً عن عمارة المسجد، فقد رُؤي أن يشترى بها مصاحف لهذا المسجد، وبحفر بئر، فكان هذا نوراً على نور ..

وإذا نشكر الله الذي هدانا لهذا .. فإننا نقترح على الذين يتوفون آباؤهم وأمهاتهم أن يفكروا في شيء من هذا . وحسب الظروف والأحوال . لاسيما بعد الموت مباشرة، فالنفوس حينها متهيأة، وهي إلى الإجابة أقرب منها إذا تطاول العهد، ومن عمل صالحاً فلنفسه، و (البر سلف) كما في المثل ..

أولاد وإخوان وأخوات أمي :

سبقت الإشارة إلى أن أولاد الوالدة (الأحياء) من أبي (حمد العودة) هم على الترتيب : ١. عبد الله، ٢. محمد، ٣. عائشة، ٤. سليمان، وتوفي لها من أبي : ١. هيلة، ٢. محمد .

أما أولادها من (عبد الرحمن العمران) فالأحياء على الترتيب : ١. علي، ٢. عبد العزيز ٣. إبراهيم، وتوفي لها منه ابنتان .

أما إخوانها (الأشقاء) فهم : عبد الله وهو أصغر منها، لكنه توفي قبلها رحمه الله، وأخواتها (الشقيقات) شايع، وقد توفيت كذلك قبلها رحمها الله .

أما إخوانها وأخواتها لأبيها فهم على الترتيب كما يلي : ١. دخيّل، ٢. هيا، ٣. هيلة، ٤. فاطمة، ٥. محمد، ٦. علي (وكلهم أحياء أطال الله في أعمارهم على عمل صالح) .

ملحق :
نماذج من مشاعر أحفاد الوالدة رحمها الله

١. ابن بتها : عبد الله بن صالح الركيان

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أنا أحد أحفاد الوالدة الحنون الرحيمة : منيرة بنت صالح العيد رحمها الله رحمة واسعة، وقد شاء الله أن أعيش زمناً لا بأس به بجانب والدة الجميع، حيث أنني الابن البكر لابنتها الوحيدة، ولهذا أعرف عنها الكثير من جوانب حياتها سواءً الاجتماعية أو الخلقية أو الدينية.

كانت جدتي رحمها الله دمثت الخلق، يحبها الصغير والكبير، لها أسلوب جم في التعامل، تسأل عن أحوال الجميع، وتحرص على الاجتماعات العائلية لمعرفتها بفضل صلة الرحم وما يترتب عليه من الأجر.

الجدة الحنوان حواراتنا معها كثيرة، ولفت انتباهي ثقافتها العالية خصوصاً في الناحية الدينية، علماً أنها أمية، لكنها مدرسة بحد ذاتها، تعلمت من الحياة الشيء المفيد، فسخرته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتأتي بالدليل من القرآن والسنة، وهذا أسلوبها للإقناع بالمعلومة وصحتها.

شيء شاهدته من استقامتها وتدينها، كانت رحمها الله تحرص على أداء السنن مثل السنن الرواتب، وصلاة الضحى، وقيام الليل، وتواصل بين أداء العمرة والحج كل سنة ما استطاعت، كانت رحمها الله رقيقة القلب، سريعة الخشوع من خشية الله عند سماع موعظة أو ذكر للآخرة..

كانت رحمها الله تتنقل بين بيوت أبنائها وبنتها، فكل بيت يتباشرون بقدومها إليهم، حيث نستأنس بحديثها، ولطف معاشرتها، وسمو أخلاقها..

هي آخر جيل العمالقة بالنسبة لنا (الأجداد والجدات)، لذا كان فراقها أليم وصعب، وخبر وفاتها كان في السابع من رمضان لعام ثلاث وثلاثين وأربعمائة وألف للهجرة، نزل علينا كالصاعقة، ولكن ما خفف علينا المصاب أنه يرجى لها الخير، ونحتسب على الله أن يبدلها داراً خيراً من دارها، ويسكنها فسيح جناته..

موقف :

كانت في يوم من الأيام راكبة بجانبي بالسيارة، وكنا نتجاذب أطراف الحديث، فكانت رحمها الله طوال الطريق تحثني وتوصيني خيراً بوالدتي، وكانت شديدة الحرص عليها، وتهتم لراحتها وسعادتها كثيراً، وتسوق الآيات والأحاديث الدالة على بر الوالدين والاهتمام بهما.

رحمك الله يا جدتي رحمة واسعة، وأسكنك فسيح جناته.

حفيدها : عبد الله بن صالح الركيان

٢. ابن ابنها : عاصم بن سليمان العودة
الجدة والحفيدة

أدركتُ من حياتها ثلاثا وثلاثين سنة، مرت كالبرق الخاطف، وكنت أراها رمزاً للطاعة والخلق والصبر والمجاهدة..

لا يلام المرء في حبه لجدته، حيث أن الحفيدة دوماً كوخه الذي يركن إليه عند ممانعة أحد والديه في شيء ما، فهي تتفجر نحوه حباً وحناناً ورحمةً وعاطفةً، وقد لا تحسب ما يحسبه والداه في أمر معين فيجعلها محاميه الأول..

جدتي منيرة . رحمها الله . عرفتها محبة للقرآن وأهله، فهي كثيراً ما تطلب من حفيدها الصغير أن يرتل لها ما حفظه في حلقة التحفيظ، وعند شروعه بالقرآءة يبدأ مسلسل الدموع، مما يجعل الابن القارئ يسترسل فيها، وحافزة قطرات دموعها على تجاعيد خدها الصبوح..

مما يثير عند الحفيد ذكراها حبها الدعابة والمؤانسة، ولا تسل عن الفرحة التي تغمره عند وصولها إلى بيتهم، وبقائها في ضيافتهم، يمسك يدها، ويهزها فتهتز معها أبيات الشعر وقصيد الحكمة، وربما زاد أنسها فانثنت بأبيات حفظتها في غزل عفيف لفلان بفلانة مما يملأ الغرفة بالبسمات والضحكات..

القصة والحكاية على لسانها لها معنى آخر، ربما تكررت تلك القصة أو هاتيك الحكاية لكن هذا لم يمنع الحفيد من الشخوص فيها، والتحليق في وجهها، لما يجد من اللذة في معانيها وطريقة سبكها، وهي التي لا تخلو من حكمة مضمنة أو تفسير لحادثة معينة..

كبر الحفيد وشاء الله أن يختار حليلته فكان سعادته لا توصف عندما تحادثه زوجته برغبتها في زيارة جدتيه (لأمه وأبيه)، ولكن قضاء الله كان نافذاً حيث لم يمهل الأولى جدته لأمه (نورة اللحيدان رحمها الله) ففاضت روحها لبارئها في أو مشواره العائلي الصغير، فما عاد له جدة إلا (منيرة العيد رحمها الله) فيذهبان إليها ليحدثانها وتحدثهم، فتسعد ويسعدان.

الذكريات في ذاكرة الحفيد تسابق الطيف ونسيم الهواء، فما يسعه إلا أن يقول لها ولوالديه {رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} ..

حفيدها : عاصم بن سليمان بن حمد العودة

الناجحون في الشهادة الابتدائية

حماد سعد راشد • سعد يوسف عجلان • عبد الله سعود حمد • عبد الله فهد هويمل • محمد عبد العزيز الفايز • نامي محمد النامي • سعد دهيش المزيني • عبد العزيز عجلان العجلان • عبد الله فهد سنان • محمد ابراهيم جاسم • ناصر فهد هويمل • مدرسة البير

حمد عبد العزيز الصبيح • سليمان ابراهيم السلامة • عبد الله ناصر الدريهم • حمد محمد عبيد • صبيح ناصر الصبيح •

فهد عبد الله محمد العبيدان ـ محمد راشد موسى المحميد ـ يوسف سليمان يوسف السليمان ـ حمود صالح حمود البازعي ـ زكريا عادل محمود ضيام ـ سليمان عبد الله سليمان الفريحي ـ سليمان علي عبد الرحمن القرعاوي ـ عبد الرحمن سليمان صالح الراضي ـ عبد العزيز ابراهيم محمد السمحان ـ عبد العزيز عبد الكريم محمد التويجري ـ عبد الله ابراهيم راشد الحميد عبد الله عبد العزيز صالح العمري ـ فهد عبد الكريم عبد

العشرة الاوائل في منطقة القصيم

سليمان على عبدالله الخليوي ـ السعودية بالرس
محمد سليمان محمد الجاسر ـ الفيصلية ببريدة
عبد الكريم عبدالله الخضير ـ الحويزة ببريدة
على محمد جروان الخلف ـ السعودية بالرس
عبدالله السالم خلف الصليبي ـ الفيصلية بالرس
على سليمان عبدالله السعودي ـ الفيصلية ببريدة
سليمان حمد عبدالله العودة ـ طارق بن زياد ببريدة
عبدالله عقيل محمد العقيل ـ المحمدية بالرس
صالح محمد على المجحدى ـ الشماس
عبد العزيز على عبد العزيز المقبل ـ القويع

القجلان ـ عبد الله سليمان الرسي ـ عبيد حميرس العتيبي محمد عبد الله القحطاني

المدرسة الفيصلية الليلية ببريده

اخ عبدة اليماني ـ عبد الله عبد العزيز الحميد ـ عبد الله حمد الصويائي .

المدرسة السادة ببريده

ابراهيم علي اليوسف ـ سليمان ابراهيم اليحيى ـ صالح عبد الله الصنات ـ عبد الرحمن محمد الحميد ـ عبد العزيز عبد الله الضنات ـ عقل علي العقل ـ محمد عبد العزيز القنيعان ـ محمد عبد الله النعيم ـ سليمان ابراهيم الحمود ـ سليمان عبد الله الثويني ـ عبد الرحمن صالح العقيز ـ عبد الرحمن محمد التويجري ـ عبد العزيز عبد الله الدباسي ـ محمد ابراهيم الجديعي ـ محمد عبد الله البازعي ـ ناصر عبد الله القباع .

المدرسة الجديدة ببريده

حمد عبد العزيز الجمعه ـ صالح جار الله المريف ـ عبد الرحمن عبد الله الحجيلان ـ عبد الله ابراهيم الحجيلاني ـ منصور صالح الشقير ـ ناصر سليمان الحويرة ـ سليمان